قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (نظرية الرواية) السنة الثانية ماستر، تخصص:نقد حديث ومعاصر

إعداد الدكتورة:دلال فاضل

المحاضرة رقم: 03

يوم: 2021/01/03

الأفواج: 01-02

عنـــوان المحاضرة: الزمن في الرواية

الهدف من المحاضرة:

-معرفة الطالب أهم التصورات النقدية التي أطرت الزمن.

-استثمار نموذج جيرار جنيت التحليلي.

المحاور: -تمهيد.

-زمن الحكاية.

-زمن الخطاب.

تمهيد:

يعد الزمن مبحثا من المباحث التي اهتمت بها حقول ابستمولوجية عدة، كالنحو، واللسانيات، ولسانيات الخطاب، والنظريات السردية، هذه الأخيرة التي سعت إلى تقعيد مقولة الزمن والبحث عن النظام الذي يتحكم في الزمن الحكائي، وبلورة نمذجة حول تحليل الزمن في الخطاب السردي عموما. واللافت للنظر أن بعض الروائيين أنفسهم اهتموا بمقولة الزمن، وأسهمت إضاءاتهم في تطوير الجهود النقدية المتصلة بهذه المقولة خلال القرن العشرين، إذ اتخذت أبعادا ودلالات متباينة نظرا لاختلاف الرؤى المتعلقة بالمحكيات بوصفها فنا زمنيا. والمتأمل في مسار مبحث الزمن خلال القرن العشرين يلاحظ بعمق تعدد التصورات النقدية التي تغيرت تأطيره في الخطاب الروائي خاصة.

ويعد الزمن حسب الناقد عمر عيلان في كتابه "في مناهج تحليل الخطاب السردي "من بين الانتظامات الأساسية التي تميز الحكاية والخطاب، فالجوهر الأساسي في الأحداث هو نظام وقوعها المنطقي والسببي، ولذلك فإن المستوى الأول للحكاية يخضع لنظام توالي الأحداث كما وقعت بالفعل. أما مستوى الخطاب فإن الأحداث يتم التحكم فيها من قبل السارد، وبالتالي فإن النظام الأساسي يصبح خاضعا لاعتبارات أخرى يحددها الراوي" وتأسيسا على هذا يمكن الإشارة إلى أولى الجهود النقدية في القرن العشرين التي أولت اهتماما بالزمن، وأقصد جهود الشكلانيين الروس الهادفة في هذا السياق إلى البحث عن حدود الحكاية وتحديد مستويات النص السردي الذي قسموه إلى متن حكائي بوصفه مجموعة الأحداث والمبنى الحكائي بوصفه طريقة تقديم الأحداث وأقصد بذلك نظرية توماشفسكيي التي تعد مرتكزا معرفيا استندت إليه التصورات المنهجية المتعلقة بمقولة الزمن قصد تحيينها وتعميقها لرسم معالم نمذجة جديدة.

ومن هذا المنطلق شغل مبحث الزمن أعلام المنهج البنيوي السردي. وقد أجمعت الدراسات النقدية على أهمية جهود الناقد تزفيتان تودورف في تطوير وتعميق مبحث الزمن، وفي هذا السياق ميز بين مستويين اثنيين لوصف النموذج الذي يقوم عليه بناء الحكاية؛ مستوى القصة histoire ومستوى الخطاب Discours وأعدهما مظهري العمل الأدبي. وإلى جانب هذه الجهود، قدم الناقد جيرار جنيت تصورا أكثر عمقا مستثمرا المنجزات السابقة لنظام الزمن، وأرسى عديد المفاهيم لتشييد تصوره المنهجي للزمن، الذي انطلق من موازنته بين مقولتي المحاكاة/الحكي التام، باحثا عن حدود الحكاية، متفقا من طروحات الشكلانيين الروس وتصور تودوروف مميزا بين زمن الحكاية وزمن الخطاب.

أولا: زمن الحكاية

لقد أجمعت أغلب الدراسات المتعلقة بنقد السرد على أن مصطلح زمن الحكاية هو مستوى من مستويات النظام الزمني المرتبط بزمن الخطاب، وقد حدد معجم السرديات ماهية زمن الحكاية بأنه "الزمن الحقيقي أو المتخيل الذي تدور فيه أحداث القصة المروية. ففي أجناس السرد المرجعي كالسيرة والسيرة الذاتية والمذكرات واليوميات والرحلات تكون الأحداث حقيقية أو مقدمة باعتبارها حقيقية، وتكون قد حدثت بالضرورة في زمن تاريخي سابق للسرد. وفي أجناس السرد التخييلي تكون الأحداث متخيلة ولكن الزمن المؤطر للأحداث في هذه الحالة على ضروب عدة متصلة بخصائص هذا الجنس أو ذاك وباختيارات الراوي الفنية ومقاصده الخطابية". وبهذا المعنى فزمن الحكاية زمن خاضع "للتتابع المنطقي للأحداث" بمفهوم الناقد المغربي حميد لحمداني في كتابه "بنية النص السردي" ومرتبط أيضا بطبيعة الجنس الأدبي.

ثانيا: زمن الخطاب

يتعلق زمن الخطاب بالكيفية التي يتم عبرها نقل الأحداث، إذ لا يتقيد الروائي بمبدأ التتابع المنطقي للأحداث، ويقدم أحداثه وفقا لرؤية محددة تكسب النظام الزمني للحكي خصوصية نوعية، هذا التصور الذي اعتمده منظرو السرد، أسس عليه تودوروف أطروحته المتعلقة بزمن السرد، إذ ميز بين "أشكال ترتيب الأحداث في الخطاب السردي التي تتوزع إلى ثلاث صيغ هي: التسلسل، والتضمن والتناوب".

وحظيت مقولة زمن الخطاب باهتمام كبير من طرف جيرار جنيت في كتابه "خطاب الحكاية" مطبقا تصوره على رواية "بحثا عن الزمن الضائع" لبروست، مؤسسا تصوره على أن "الحكاية مقطوعة زمنية مرتين... فهناك زمن الشيء المروي، وزمن الحكاية (زمن المدلول وزمن الدال"، فبحث في زمن الخطاب محددا العلاقة "زمن الأحداث وكيفية سردها من حيث الترتيب والمدة ودرجة التواتر".

فعلى مستوى الترتيب نكشف عن طبيعة نظام ترتيب الأحداث بوصف زمن الخطاب لا يطابق زمن الأحداث المنطقي، فهذا التفاوت بين الزمنيين ينجم عنه ما يسمى بالمفارقات الزمنية التي يحصرها جنيت في الاستباق والاسترجاع. أما الاسترجاع Analepse مفارقة زمنية تقتضي سردا لاحقا لحدث ما، إذ يرى جنيت بأن الاسترجاع حكاية ثانية تابعة للأولى زمنيا، وقد ميز بين صنفين من الاسترجاعات؛ داخلي وآخر خارجي حدد مفهومهما في كتابه "خطاب الحكاية" على النحو الآتي: الاسترجاع الخارجي "تظل سعته كلها خارج سعة الحكاية الأولى" يضطلع بوظيفة الإعلام عما سبق. أما الاسترجاع الداخلي "فمجاله الزمني يتضمن المجال الزمني للحكاية الأولى، حيث تدرج عناصر جديدة للحكاية الأصل كإضافة شخصية جديدة، أو إعادة الحديث عن شخصية غابت مدة عن مسار السرد" وهذه التقنية الزمنية تنتج نمطا سرديا يعرف بالسرد اللاحق.

فأما **الاستباق laprolepse** فهو مفارقة زمنية تتمثل في سرد مسبق لوقائع ستحدث قبل حدوثها، مما يضفي عليها طابع الاستشراف. والاستباق داخلي وخارجي. فالاستباقات الخارجية "وظيفتها ختامية في أغلب الأحيان" وتطرح الاستباقات الداخلية إشكالية التداخل الممكن بين الحكاية الأولى، والحكاية التي يظهرها المقطع الاستباقي، والسرد الناجم عن هذه التقنية سرد تنبئي سابق كما ورد ذلك في معجم السرديات.

وعلى مستوى المدة يبحث جنيت عن الإيقاع الزمني مقترحا أربع تقنيات حكائية يحدد من خلالها وتيرة الأحداث من حيث سرعتها وبطؤها وهي:

الخلاصة أو المجمل sommaire: وهي شكل من أشكال الحركة السردية تعتمد على "السرد في بضع صفحات لعدة أيام أو شهور أو سنوات من الوجود دون تفاصيل أعمال أو أقوال" أي تسريع السرد من خلال اختزال الأحداث.

***الحذف:Ellipse:** يعمل الحذف على تسريع الزمن بوصفه حذف لفترات زمنية من زمن الخطاب دون الإشارة إليها ويصنفه جنيت إلى حذف معلن، وحذف ضمني، وحذف افتراضي.

***الوقفة:** تعمل الوقفة بوصفها تقنية على إبطاء السرد من خلال الوصف ويكون في هذه الحالة زمن الخطاب أكبر من زمن الحكاية.

***المشهد:Scéne:** يعد شكلا من أشكال الحركة السردية يقتضي توقف السرد وإسناد الكلام للشخصيات، يعمل على تبطيء وتيرة السرد.

وعلى مستوى التواتر بوصفه مظهرا من مظاهر الزمن، ويحدد مفهوما للتكرار السردي وبأنه "ليس حدث من الأحداث بقادر على الوقوع فحسب، بل يمكنه أن يقع مرة أخرى"، مما يؤكد قدرة الحدث على التكرار في النص الواحد، ويعتمد جنيت على معيار تردد الحدث السردي وتكرار الملفوظ السردي للتمييز بين السرد التفردي الذي يروى مرة واحدة ما حدث مرة واحدة، وبين السرد التكراري الذي يروى أكثر من مرة واحدة وبين السرد التأليفي وهو أن يروى الحدث مرة واحدة ما حدث مرات. فهذه الأشكال السردية التي حددها جنيت في كتابه السابق الذكر تستند إلى تحديدات زمنية.

وتجدر الإشارة في سياق الحديث عن الزمن في الرواية إلى السرد المتزامن كنمط من أنماط السرد اعتبره جنيت "أبسط أنماط السرد، لأن التطابق بين زمن الحكاية وزمن السرد يلغي كل إمكانية التداخل بينهما أو للتلاعب بالزمن" من جهة، وإلى السرد المدرج من جهة أخرى، حدده معجم السرديات بوصفه "يتداخل زمنه مع زمن الحكاية ويتسنى ذلك بوجه خاص عندما يكون التفاوت بين الزمنيين ضئيلا بحيث يمكن للسرد أن يلتحق بالحكاية، بل أن يغدو سابقا لها. ويفضي هذا التداخل إلى تأثيره فيها. وأكثر ما يكون ذلك في الرواية الترسلية حيث تكون الرسالة وسيطا للقصة وعنصرا في الحبكة". ويمكن النظر إلى مبحث الزمن في الخطاب أيضا من منظور تودوروف المتعلق بالنظام الزمني للخطاب، حيث أشار إلى "زمن الملفوظية (زمن الكتابة) وزمن التلقي (زمن القراءة) باعتبارهما يتفاعلان بصورة أو بأخرى من خلال التواصل مع النص السردي".

المراجع المعتمدة:

1-عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي.

2-محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات.

3-حميد لحمداني: بنية النص السردي.

4-جيرار جنيت: خطاب الحكاية.